مجمع تعليم الإيمان

**إرشـــاد** في **عماد الأولاد الصّغار**

صدّقه قداسة البابا

**يوحنّا بولس الثاني**

20 تشرين الأول سنة 1980

منشورات

اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام

**مدخل**

1- كان لنشر كتاب الرتب الجديد المصنّف وفقاً لتوجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني شأن كبير في تنشيط الاهتمام الرعائي بعماد الأولاد. بيد أنّ الصعوبات التي يعانيها والِدون مسيحيّون ورعاة من جراء التحوّل السريع في المجتمع تجعل التربية على الإيمان ومثابرة الشباب عليه أمراً صعباً وهذه الصعوبات لم تتبدّد تماماً.

2- فوالدون كثيرون هم بالواقع في ضيق من مشاهدة أولادهم يهجرون الإيمان وممارسة الأسرار برغم التربية المسيحيّة التي أجهدوا النّفس في توفيرها لهم ورعاة كثيرون يتساءلون: هل يجب عليهم أم لا، أن يكونوا متشدّدين أكثر في قبول الأطفال للعماد. ويرى البعض من الأفضل تأجيل عماد الأولاد حتى نهاية فترة الإستعداد سواء أطالت أم قصرت بينا يطلب الغير إعادة النظر، أقلّه فيما يتعلّق بالأطفال في مسألة ضرورة العماد، ويتمنّون لو تأجّل الاحتفال به إلى سنّ يصبح معها الالتزام الشخصيّ أمراً ممكناً، ولو تمّ ذلك على عتبة سنّ البلوغ.

ولكن إعادة النظر هذه في الطريقة المألوفة لرعاية الأسرار تثير ولا بدّ في الكنيسة الخوف المشروع من التعريض بتعليم له ما لقضية ضرورة العماد في شأن. الأمر الذي يسبّب عثرة بالأخصّ للعديد من الوالدين الذين يواجهون رفض أو تأجيل عماد يسألونه لأولادهم بدافع من وعيهم التّام لواجباتهم.

3- فلمواجهة هذا الوضع والردّ على العديد من الأسئلة التي وجّهت إلى مجمع تعليم الإيمان وبعد استشارة مختلف المؤتمرات الأسقفيّة أعدّ المجمع المذكور هذا الإرشاد بغية التذكير بالنقاط الجوهريّة من تعليم الكنيسة في هذا المجال التي تبرّر تمسّكها بهذه الطريقة عبر الأجيال وتظهر قيمتها الثابتة برغم ما يشار في وجهها اليوم من صعوبات. ويختم هذا الإرشاد بالإشارة إلى بعض الخطوط العريضة لعمل رعائي.

-1-

**تعليم التقليد المسيحي**

**في عماد الأطفال**

طريقة عريقة

4- تعتبر طريقة تعميد الأطفال، في الشرق مثلها في الغرب، كقاعدة متحدّرة عن عرف قديم يرى فيها أوريجانوس، ومن بعده أغوسطينوس، تقليداً متناقلاً عن الرسل وليس بين الشهادات المباشرة التي طلع بها القرن الثاني (للميلاد) واحدة تعرض عماد الأطفال كطريقة مستحدثة. القدّيس ايريناوس بالأخص، يعتبر أمراً عادياً وجود "أطفال وأولاد" في عداد المعمّدين إلى جانب الفتيان والشبان والمتقدّمين في السن. وفي أقدم رتبة معروفة، الوارد وصفها في (كتاب) "التقليد الرسولي" الذي يرقي إلى بدء القرن الثالث، الإرشاد التالي: "فليعتمد الأولاد أولاً. جميع الذين يستطيعون التكلّم عن أنفسهم، فليتكلّموا. أمّا الذين لا يستطيعون فليتكلّم والدوهم أو بعض أهلهم عنهم" والقدّيس قريانوس في المجمع الذي عقده مع أساقفة أفريقيا، يؤكّد أنّه "لا يجوز أن يحرم أيّ إنسان كان في الوجود من رحمة الله ونعمته." ويذّكر المجمع المذكور "بالمساواة الروحية" بين الناس جميعاً، مهما كان "قدّهم وعمرهم" فيقرّر أنّه يجوز تعميد الأولاد "منذ اليوم الثاني أو الثالث بعد ولادتهم".

5- لا شكّ في أن تقليد عماد الأولاد عرف بعض الإنحسار في غضون القرن الرابع، حيث راح البالغون أنفسهم يؤجّلون موعد التزامهم بالدين المسيحي، خشية السقوط في الخطايا وخوفاً من التوبة العلنيّة، فراح والدون كثيرون يؤجّلون عماد أولادهم للأسباب عينها: لكن لا بدّ من الإشارة أيضاً إلى أنّ آباء ومعلّمين مثل باسيليوس، وغريغوريوس النيصيّ، وأمبروسيوس، ويوحنّا فم الذهب وأيرونيموس وأغوسطينوس الذين قبلوا هم أيضاً العماد في سنّ متأخرة بسبب الحالة القائمة اعترضوا بشدّة لمثل هذا التقصير وطالبوا البالغين بإلحاح بألا يؤخّروا العماد الضروري للخلاص وألحّ الكثير منهم على أن يمنح للأطفال.

**تعليم السلطة**

6-كذلك تدخّل البابوات والمجامع مراراً ليذكّروا المسيحيين بواجب تقديم أولادهم للعماد.

في نهاية القرن الرابع جوبهت تعاليم بيلاجيوس بالعادة القديمة المرعيّة في تقديم الأولاد للعماد مثل البالغين "لمغفرة الخطايا". عادة كانت كما أشار إلى ذلك أوريجانوس والقديس قبريانوس قبل القديس أغوسطينوس، تؤكّد إيمان الكنيسة بقيام الخطيئة الأصليّة، الأمر الذي من جهته زاد لزوم عماد الأولاد بروزاً. وعلى هذا الوجه تدخّل البابوان سيريشيوس وأنيوشنسيوس الأول وأدان مجمع قرطاجة عام 418 "الذين ينكرون واجب تعميد الأطفال المولودين حديثاً" وأكّد جرياً على قاعدة إيمان الكنيسة الكاثوليكيّة فيما يختص بالخطيئة الأصليّة، أنّ "الأطفال الصغار أنفسهم، الذين لم يستطيعوا بعد أن يرتكبوا خطيئة شخصيّة واحدة، يعمدون بحق لمغفرة الخطايا لكي يتنقوا بالولادة الجديدة ممّا يحملونه من ولادتهم".

7- وقد درجت (السلطة) على تأكيد هذا المعتقد والدفاع عنه طوال القرون الوسطى. ويشير بصورة خاصة مجمع فيينا المنعقد سنة 1312 إلى أنّ مفعول سرّ العماد "في الصغار مثله في الكبار"، لا يقتصر على مغفرة الخطايا بل يولي النعمة والفضائل. وينحى مجمع فلورنسا (سنة 1442) باللائمة على الذين يؤثّرون إرجاء (منح) هذا السرّ ويوجب أن يمنح المولودون الجدد "حالما أمكن ذلك بدون إزعاج السر الذي به يعتقون من سلطة الشيطان ويقبلون تبنّي أبناء الله".

ويكرّر المجمع التريدنتيني حكم مجمع قرطاجة معتمداً كلام يسوع لنيقوديموس ليعلن "أن لا أحد يتبرّر بعد إذاعة الإنجيل بدون عماد الولادة الجديدة أو التوق إلى قبوله". ويلاحظ أن بين الأضاليل التي يتناولها (المجمع) بالحرم ضلالة القائلين بأن "إهمال العماد (للأطفال) خير من العماد بدون فعل إيمان شخصي، استناداً إلى إيمان الكنيسة وحده".

8- وإنّ مختلف المجامع العامّة منها الاقليميّة الّتي عقدت بعد المجمع التردنتيني تؤكّد مثله في تعليمها على ضرورة عماد الأولاد. وقد أحسن البابا بولس السادس بتذكيره من على المنبر بهذا التعليم العريق في القديم معلناً أن "لا بدّ من منح العماد حتّى للأولاد الصغار الذين لم يستطيعوا اقتراف خطيئة شخصيّة لكي يولدوا، بعد ولادتهم محرومين من النعمة الفائقة الطبيعة، ولادة جديدة من الماء والرّوح القدس للحياة الالهيّة في المسيح يسوع".

9- نصوص السلطة المعلّمة التي أتينا على ذكرها كانت تهدف خاصّة إلى دحض الأضاليل. ولكنّها أبعد من أن تستوعب غنى التعليم في العماد كما يتّضح من العهد الجديد وكرازة الآباء وتعليم ملافنة البيعة: العماد ظهور محبّة الآب السبّاقة، الشركة في سرّ الابن الفصحي، منح حياة جديدة في الروح. إنّه يدخل البشر في ميراث الله ويضمّهم إلى جسد المسيح الذي هو الكنيسة.

10-        فيجب، من هذا البعد فهم إعلان المسيح في إنجيل يوحنّا: "ليس لأحد أن يدخل ملكوت الله ما لم يولد من الماء والروح"، دعوة من حبّ شامل لا حدّ له. إنّها كلمات أب يدعو أولاده ويريد لهم الخير الأعظم. دعوة ملحة لا عودة عنها لا يسع الإنسان أن يقف موقف اللامبالاة أو الحياد لأنّ في قبوله بها تحقيق مصيره.

**رسالة الكنيسة**

11-        على الكنيسة أن تلبّي الرسالة التي سلّمها المسيح إلى رسله بعد قيامته، وقد أخذت كما أوردها متّى في إنجيله طابعاً علنيّاً خاصاً: "لقد أعطيت كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا الأمم جميعاً وعمّدوهم باسم الآب والابن والرّوح القدس". إنّ تبليغ الإيمان ومنح سرّ العماد المرتبطين بهذا الأمر من الربّ ارتباطاً وثيقاً هما جزءان لا يتجزّآن من رسالة الكنيسة التي هي ولا يمكن إلاّ أن تظلّ شاملة.

12-        هكذا مهمّتها الكنيسة منذ عهدها الأوّل، لا موجّهة للبالغين فحسب بل فهمت دائماً من قراءتها كلام يسوع لنيقوديموس "أنّه لا يجوز أن يحرم الأولاد الصغار من العماد". لأن لهذه الكلمات صيغة شاملة ومطلقة جعلت الآباء يعتمدونها ليثبتوا ضرورة العماد، والسلطة التعليميّة تطبّقها صراحة على الأولاد الصغار: فهذا السرّ هو لهم أيضاً المدخل إلى شعب الله وباب الخلاص الشخصيّ.

13-        هكذا إنّ الكنيسة بتعليمها وممارستها لا تعرف غير العماد وسيلة تضمن للأولاد الصغار دخول السعادة الأبديّة لذلك تأبى أن تسقط الرسالة التي تسلّمتها من الربّ إذ "تلد من الماء والروح" جميع الذين يمكنهم أن يقبلوا العماد. أمّا الأطفال الذين يموتون بلا عماد فليس لها إلاّ أن تكلهم إلى رحمة الله، كما تفعل في رتبة الجنّاز التي وضعتها لهم.

14-        إنّ أمر عدم استطاعة الأولاد أن يعلنوا إيمانهم شخصيّاً لا يمنع الكنيسة من أن تمنحهم هذا السرّ لأنّهم بالواقع إنّما يعمّدون في إيمانها هي. هذه النقطة من التعليم كان القدّيس أغوسطينوس قد أثبتها بوضوح حيث كتب يقول: "يقدّم الأطفال لينالوا النعمة الروحيّة لا على يد الذين يحملونهم على ذراعهم (وإن يكن ذاك وارداً إذا كانوا مؤمنين صالحين) بل على يد جماعة القدّيسين والمؤمنين جميعاً. هي الكنيسة الأمّ، الماثلة بقدّيسيها، تعمل. الكنيسة جمعاء تلدهم جملة وفرادى". ويستأنف القدّيس توما الأكويني ومن بعده جميع علماء اللاهوت هذا التعليم: إنّ الولد الذي يقبل العماد لا يؤمن هو ذاته بفعل إيمان شخصي بل بإيمان آخرين "بإيمان الكنيسة الذي تشركه فيه". وهو هذا التعليم عينه تعبّر عنه رتبة العماد الجديدة عندما يسأل المحتفل الوالدين والعراب والعرابة أن يعترفوا بإيمان الكنيسة "الذي فيه يقبل أولادهم سرّ العماد".

15-        ولكن مهما يكن من أمر ثقة الكنيسة بفعل إيمانها الفاعل في عماد الأولاد وبصحة السرّ الذي تمنحهم إيّاه فإنّها تعترف بأن لممارستها هذه حدوداً، لأنّها في ما عدا خطر الموت لا ترضى بأن تمنح السرّ دون موافقة الوالدين وضمانة جدّيّة أنّ المعمود الصغير سيتربّى تربية كاثوليكيّة لأنّها معنيّة بحقوق الوالدين الطبيعيّة مثلها بمتطلّبات تنمية الإيمان في الولد.

-2-

**أجوبة على الصعوبات المثارة حاليّاً**

16-        على ضوء هذا التعليم المنوّه به أعلاه يجب النظر في بعض الآراء المعروضة حالياً بشأن عماد الأولاد والهادفة إلى إثارة الجدل حول شرعيّته كقاعدة عامة.

**العماد وفعل الإيمان**

17-        نلاحظ أن العماد في كتابات العهد الجديد يتبع التبشير بالإنجيل، يفترض التوبة ويرافقه إعلان الإيمان ونلاحظ من جهة أخرى أن مفاعيل النعمة (ترك الخطايا، التبرير، التجديد والاشتراك بالحياة الالهيّة) تعزى بالعموم إلى الإيمان أكثر منها إلى السرّ لذلك يقترح بعضهم بأن يجعل من التتابع المذكور: تبشير، إيمان، سرّ، قاعدة عامّة، تطبّق إلا في خطر الموت على الأولاد فتنظّم لهم مرحلة إعداد إلزاميّة قبل العماد.

18-        لا شك في أنّ الكرازة الرسوليّة كانت توجه بشكل عاديّ إلى البالغين. المعمّدون الأوّلون كانوا أناساً اهتدوا إلى الإيمان المسيحيّ. وبما أنّ هذه الأمور واردة في الكتاب المقدّس فقد ينشأ عن ذلك الظنّ بأن الكلام فيه يقتصر على إيمان البالغين والحال أنّ ممارسة عماد الأولاد، كما ذكرنا أعلاه، تستند إلى تقليد عريق في القديم يرقى إلى الرسل ولا مجال لعدم اعتبار قيمته. هذا وما كان العماد ليمنح يوماً بلا الإيمان: بالنسبة للأطفال يعتمد إيمان الكنيسة.

ثمّ أن تعليم المجمع التريدنتيني في الأسرار لا يعتبر العماد مجرّد علامة للإيمان بل إنّه ينشئه محدثاً في المعمود "الاستنارة الباطنيّة". والليتورجيّة البيزنطيّة تسمّيه "سرّ الاستنارة" أو ببساطة: "الاستنارة" أي الإيمان الذي تقبله النفس فيغمرها بحيث يسقط لدى إشراق مجد المسيح غشاء العمى.

**الإيمان واختصاص النعمة بالشخص**

19-        يقال أيضاً أن كلّ نعمة بحكم كونها تعني الشخص لا بدّ لمن يقبلها من أن يستقبلها بوعي ويجعل منها نعمته الخاصّة الأمر الذي يعجز الطفل عنه.

20-        الواقع أن الولد قبل أن يتهيّأ له أن يبرز كشخص بأعمال واعية وحرّة هو شخص قبل ذلك بكثير وهو بالتالي مهيّأ لأن يصبح بسرّ العماد ابن الله وريثاً مع المسيح وله فيما بعد من وعيه وضميره إذا استيقظا ما يجعله يتصرّف بالطاقات التي أودعتها نعمة العماد نفسه.

**العماد وحريّة الولد**

21-        ويثار أيضاً في وجه عماد الأطفال أنّه يشكّل مساساً بحريّتهم وأنّه ينال من كرامتهم الشخصيّة إذ يُفرض عليهم للمستقبل إلزامات دينيّة قد يضطرّهم الأمر لربما في ما بعد إلى رفضها. وقد يكون من الأفضل أن لا يمنح هذا السرّ إلاّ في سن يصبح فيها الالتزام الحرّ أمراً ممكناً. وعلى الوالدين والمربّين بانتظار ذلك أن يتحفّظوا ويمتنعوا عن ممارسة أيّ ضغط.

22-        مثل هذا الموقف هو مجرّد وهم. فما من حرية محض بشريّة خلوّ من تأثيرات تكيفيها. فعلى الصعيد الطبيعي قبل غيره يختار الوالدان لأولادهم ما لا بدّ منه لحياتهم ولتوجيههم نحو القيم الصحيحة وما موقف العيلة الحيادي المزعوم بشأن حياة ولدهم الدينيّة إلاّ خيار سلبي بالواقع، يحرمه خيراً جوهريّاً. ومن يزعم بالأخصّ أنّ منح سرّ العماد ينال من حريّة الولد ينسى أنّ على كلّ إنسان حتى غير المعمّد بوصفه مخلوقاً، إلزامات نحو الله لا تسقط، يأتي العماد ليصدّقها ويرفعها بالتبنّي. وينسى أيضاً أن العهد الجديد يعرض لنا دخول الحياة المسيحيّة لا عبوديّة أو إكراهاً بل باباً مفتوحاً على الحريّة الصحيحة.

قد يتّفق ولا شك للولد لدى بلوغه سن الرشد أن يتنكّر للالزامات الناشئة عن عماده فعلى الوالدين برغم الألم الذي يعانيانه من جراء ذلك أن لا يؤاخذا نفسهما لأنّهما قدّما ولدهما للعماد ووفرا له التربية المسيحيّة كما يحقّ لهما ويجب عليهما لأنّ بزور الإيمان مزروعة في نفسه يمكن برغم الظواهر أن تنمو يوماً ويساهم الوالدون في نموّها بصبرهم وحبّهم، بصلاتهم وشهادة إيمانهم الصحيحة.

**العماد والوضع الإجماعي**

23-        يرى البعض من الذين يرعون بانتباه الرابطة التي تشدّ الشخص إلى المجتمع، أنّ عماد الأولاد لا يزال مقبولاً في مجتمع من النمط المتجانس حيث القيم والأحكام والعادات تؤلّف كلاًّ متلاحم الأجزاء. لكن هذه الطريقة قد لا تصحّ في المجتمعات التعدّديّة الراهنة الموصوفة بعدم استقرار القيم وصراعات الفكر فيها. فقد يكون من الأوفق في مثل هذه الحال الانتظار ريثما تنضج شخصيّة طالب العماد نضوجاً كافياً...

24-        لا ريب في أنّ الكنيسة لا تجهل أنّ عليها أخذ المعطيات الاجتماعيّة بعين الاعتبار بيد أنّ مقاييس التجانس والتعدّد ليست سوى مؤشّرات لا يصحّ أن نجعل منها مبادئ نموذجيّة لأنّها لا تصلح في مسألة دينيّة صرف، تعني من طبعها الكنيسة والعيلة المسيحيّة.

قد نجد في مقياس المجتمع "ما يخوّلنا التأكيد على شرعيّة عماد الأولاد، إذا كان هذا المجتمع مسيحيّاً". ولكنّه قد يقودنا أيضاً إلى إنكارها حيث العيال المسيحيّة أقلّيات سواء كانت بين مجموعة بشريّة تغلب فيها الوثنيّة أم في نظام الحادي مناضل. وهذا بالطبع أمر لا يمكن قبوله.

وليس مقياس "المجتمع التعدّدي" بأفضل من السابق، لأنّ للعيلة والكنيسة في مثل هذا المجتمع حريّة التصرّف وبالتالي تأمين تنشئة مسيحيّة.

ثمّأنّ التبصّر في التاريخ يوضح لنا أنّ مثل هذه المقاييس "الاجتماعية" لو اعتمدت في أوّل عهد الكنيسة لشلّت توسعها الرسوليّ. أضف إلى ذلك المفارقة في التذرّع غالباً بالتعدّديّة، في أيّامنا، لفرض مناهج حياتيّة تمنع بالواقع المؤمنين من التصرّف بحرّيّتهم المسيحيّة.

من المهمّ جداً "في مجتمع لم تعد ذهنيّته وأخلاقه وشرائعه مستلهمة من الإنجيل" أن نركّز في المسائل التي يطرحها عماد الأطفال، على طبيعة ورسالة الكنيسة الخاصة.

فإنّ لشعب الله، برغم اندماجه في المجتمع البشريّ وبرغم اختلاف الحضارات والشعوب، "هويّته الخاصة المميّزة بوحدة الإيمان والأسرار. فالروح الواحد والرجاء الواحد اللذان يحرّكانه يجعلان منه كلاً عضويّاً" قادراً على الخلق في تخلّف الفئات البشريّة والبيئات اللازمة لنموّه. ولا بدّ للاهوت الأسرار الرعويّ في الكنيسة، وبالأخصّ في عماد الأولاد، من أن يتدرّج في هذا الإطار ولا يخضع لمقاييس مستعارة من العلوم البشريّة وحدها.

**عماد الأطفال ولاهوت الأسرار الرعوي**

25-        ويعترض أخيراً انتقاد آخر لعماد الأطفال ناشئ عن لاهوت رعوي، تعوزه الوثبة الرسوليّة همّه في إيلاء السرّ أكثر منه في إيقاظ الإيمان وتنشيط الالتزام الانجيليّ. والكنيسة إذا تقيّدت به تكون تسقط في تجربة العدد "والمؤسّسة" الاجتماعيّة، وتشجّع، على استمرار النظر إلى الأسرار "كطلاسم سحريّة"، بينا واجبها هو في التصويب نحو تحريك الرّوح الرسوليّة، وتنضيج إيمان المسيحيّين، وتنشيط التزامهم الحرّ الواعي وبالتالي التسليم بأنّ التنشئة الرعويّة في موضوع الأسرار تتمّ على مراحل.

26-        لكن إذا كان لا بدّ لرسالة الكنيسة من أن تنزع إلى إيقاظ إيمان حي وتعزيز وجود مسيحيّ حقّ، فإنّ مستلزمات رعاية منح الأسرار للبالغين لا يمكن أن تطبّق كما هي على الأطفال الذين، كما ذكرنا، يعتمدون "في إيمان الكنيسة". ثمّلا يجوز لنا أن نعالج باستخفاف ضرورة هذا السرّ الذي يحتفظ بكلّ قيمته وضرورته الملحّة، لا سيّما إذا كان الموضوع هو أن نوفّر للولد خير الحياة الأبديّة اللامتناهي القدر.

أمّا الاهتمام بالعدد، فإنّه، إذا صحّ فهمه، لا يشكّل تجربة للكنيسة ولا شراً، بل واجباً وخيراً. فالكنيسة التي يحدّدها القديس بولس "جسد المسيح" وملأه، هي في العالم سرّ المسيح المنظور. ورسالتها أن تصل كلّ الناس بالرباط السرّي الذي يوحّدها بربّها الممجّد. لذلك لا يمكنها إلا أن تبغي منح سرّ العماد الذي هو الأوّل والأساس للجميع أولاداً وبالغين. إذن عادة منح العماد للأولاد، إذا فهمناها على هذا النحو، هي من صلب الانجيل لأنّ لها قيمة الشهادة: فهي تبرز عناية الله ولطفه ومجانيّة الحبّ الذي يغمر حياتنا: "لسنا نحن أحببنا الله بل هو الذي أحبّنا... أنّنا نحبّ لأنّ الله نفسه هو أحبّنا أوّلاً". حتى الالزامات التي يفرضها قبول البالغين العماد يجب ألاّ تنسينا أنّ "الله لا بسبب أعمال برٍّ عملناها، بل برحمته خلصنا بعماد الولادة الثانية وتجديد الرّوح القدس".

**توجيهات رعويّة**

27-        إذا لم يكن ممكناً القبول ببعض الطروحات الحاليّة، مثل العزوف نهائيّاً عن تعميد الأطفال وحريّة الخيار، مهما كانت الدواعي، بين العماد المباشر والعماد المؤخّر، فلا يسعنا مع ذلك أن ننكر لزوم القيام بجهد رعوي عميق ومتجدّد من بعض الوجوه وينبغي لنا الآن أن نشير إلى بعض مبادئه وخطوطه العريضة.

**مبادئ هذا الجهد الرعوي**

28-        يهمّنا أن نذّكر أوّلاً بأنّ لا بدّ من اعتبار عماد الأطفال كرسالة خطيرة. فإنّها تطرح على الرعاة مسائل لا يمكن حلّها إلاّ ضمن الانتباه والأمانة لتعليم الكنيسة وتصرّفها الدائم. عمليّاً لا بدّ للنهج الرعوي في عماد الأطفال من أن يستلهم مبدأين رئيسيّين ثانيهما خاضع للأوّل:

1-العماد ضروريّ للخلاص هو علامة وأداة محبّة الله السبّاقة التي تخلّصنا من الخطيئة الأصليّة وتشركنا في حياة الله. فلا يسوغ مبدئيّاً تأخير منح هذه النِعَم للأطفال.

2-لا بدّ من توفير ضمانات يمكن معها لهذه النعم أن تنمو بتربية صحيحة على الإيمان والحياة المسيحيّة، بحيث يبلغ هذا السرّ ملء "حقيقته". ضمانات يوفّرها عادة الوالدون والأقربون مع بقاء المجال مفتوحاً لمختلف البدلاء في الجماعة المسيحيّة. أمّا إذا لم تكن هذه الضمانات جدّيّة، فقد يفرض ذلك تأخير منح السرّ حتى رفضه إذا كانت معدومة حقاً.

**الحوار بين الرعاة والعيال المؤمنة**

29-        انطلاقاً من هذين المبدأين يتمّ النّظر في الحالات الراهنة عبر حوار رعويّ بين الكاهن والعيلة. أمّا فيما يتعلّق بالحوار مع والدين هم مسيحيّون ممارسون، فالمبادئ واردة في مقدّمات كتاب الرتبة. يكفي أن نذّكر هنا بنقطتين هما الأكثر دلالة:

-في الدرجة الأولى، تولي (الرتبة) أهميّة كبيرة حضور الوالدين واشتراكهم الفعلي في الاحتفال. إنّ لهم من الآن وصاعداً الأفضليّة دون العرابين والعرابات، الذين لا يزال مع ذلك حضورهم مطلوباً لأن مساهمتهم في التربية قيّمة ولربّما ضروريّة في بعض الأحيان.

-في الدرجة الثانية، تحتل التهيئة للعماد مكاناً مرموقاً فعلى الوالدين أن يفكّروا بذلك، ويعلموا الرعاة بالولادة المرتقبة ويستعدوا لها روحيّاً. وعلى الرعاة من جهّتهم أن يزوروا العيال ويجمعوهم ليلقوا عليهم التعاليم والارشادات الملائمة ويحثّوهم على الصلاة من أجل الأولاد الذين يتهيّأون لاستقبالهم.

وعليهم أن يتقيّدوا بتعليمات كتاب الرتب بتحديد وقت الاحتفال: "يجب أولاً أخذ صحّة الولد بعين الاعتبار لئلا يحرم نعمة هذا السرّ. ثمّ صحّة الأمّ لتستطيع ما أمكن أن تحضر الاحتفال. وأخيراً، وما لم يشكّل ذلك عائقاً في وجه خير الولد الأعظم، يجب اعتبار الضرورة الرعويّة أيّ الوقت الكافي لإعداد الوالدين وتنظيم الاحتفال بحيث يبرز معنى الرتبة بطريقة ملائمة" وهكذا يمنح سرّ العماد بدون أيّ تأخير إذا كان الولد في خطر الموت أو في الحالات العاديّة "في غضون الأسابيع الأولى التي تلي الولادة".

**حوار الرعاة مع العيال القليلة الإيمان أو غير المسيحيّة**

30-        يتّفق للرعاة أن يجدوا أنفسهم أمام والدين قليلي الإيمان أو من الممارسين بالمناسبات حتى أمام والدين غير مسيحيّين الذين يطلبون العماد لأولادهم لأسباب جديرة بالاعتبار.

فعليهم في مثل هذه الحال، وعبر حوار واعٍ ومتفهّم للغاية أن يثيروا اهتمامهم بالسرّ الذي يطلبونه ويلفتوهم إلى المسؤوليّة التي يتحمّلونها.

فالكنيسة بالواقع، لا يمكنها تلبية رغبة هؤلاء الوالدين، ما لم يعطوا الضمانة بأنّ الوالد يمكنه بعد العماد أن ينعم بالتربية الكاثوليكيّة التي يستوجبها هذا السرّ. ولا بدّ من أن يكون لها أمل مرتكز على أساس بأنّ العماد سيؤتي ثماره. أمّا إذا كانت كافية الضمانات المقدّمة- مثل اختيار عرّابين وعرابات يأخذون الولد على عهدتهم جدّياً أو تأمين مساندة جماعة المؤمنين – فلا يسع الكاهن إلا أن يبادر بلا تأخير إلى منح العماد، مثله بالنسبة لأولاد العيال المسيحيّة.

وإذا كانت الضمانات غير كافية فالفطنة تقضي بتأجيل العماد. لكن على الرعاة أن يبقوا على اتصال مع الوالدين بحيث يحصلون إذا أمكن على الشروط المطلوبة منهم للاحتفال بالسر. وأخيراً إذا كان هذا الحلّ أيضاً لم ينجح فمن الممكن كوسيلة أخيرة عرض تسجيل الولد للتعليم المسيحي الإعدادي في زمن الدراسة.

31-        هذه القواعد التي عرضت وصار يعمل بها تتطلّب بعض الايضاحات. لا بدّ من أن نوضح قبل كلّ شيء أنّ رفض العماد ليس وسيلة للضغط وعلى كلّ حال لا يجوز هنا الكلام عن الرفض، ولا بالأحرى عن المفاضلة، بل عن "مهلة تربويّة" مكرّسة وفقاً للظروف، لتمكين العيلة من النموّ في الإيمان، أو من تحمّل مسؤوليّاتها على وجه أفضل.

وفي مدار الحديث عن الضمانات يجب اعتبار كلّ يقين يولد أملاً مرتكزاً على أساس في تربية الأولاد تربية مسيحيّة، أهلاً لأن يحسب كافياً.

يجب أن لا يرافق الإكتتاب، إذا تمّ، لتعليم إعدادي مرتقب، برتبة تنظيم لهذا الفرض يسهل التوهّم معه أنّها بديل للسرّ عينه. ويجب أيضاً أن يكون جليّاً للافهام أن هذا الاكتتاب لا يعتبر دخولاً في مرحلة الإعداد للعماد وأنّ الأولاد المكتتبين على هذا الوجه لا يمكن اعتبارهم "موعوظين" مع كلّ ما يناط بهذه الحالة من امتيازات بل عليهم أن يتقدّموا فيما بعد إلى مرحلة الإعداد التي توافق سنّهم. ولا بدّ في هذا الصدد من أنّ نوضح أنّ وجود رتبة مختصّة بالأولاد الذين بلغوا سنّ الاستعداد للعماد، في صلب كتاب "نظام تعليم أصول الدين للراشدين" لا يعني قطعاً أنّ الكنيسة تفضّل تأجيل العماد لمثل هذا السنّ أو تعتبر ذلك مألوفاً.

أخيراً في المناطق حيث العيال القليلة الإيمان أو غير المسيحيّة تؤلّف الأكثريّة، إلى حدّ يسوّغ محليّاً للمؤتمرات الأسقفيّة أن تضع برنامج رسالة رعويّة شاملة يلحظ تأجيل العماد إلى أجل أبعد بكثير من الأجل الذي يحدّده القانون العام، تحتفظ العيال المسيحيّة المتواجدة فيها بحقّها الكامل في تعميد أولادها باكراً فيمنح السرّ لهم وفقاً لما ترتّبه الكنيسة ولما يستأهل إيمان هذه العيال وسخاؤها الروحيّ.

**دور العيال وجماعة الرعيّة:**

32-        لا بدّ للجهد الرعوي المبذول بمناسبة عماد الأطفال من أن يندمج في عمل أوسع يتناول العيال وكلّ الجماعة المسيحيّة.

وتظهر في هذا البعد أهمّيّة تكثيف العمل الرعويّ في اللقاءات مع طالبي الزواج بغية إعدادهم للزواج ثمّ مع المتزوّجين حديثاً. ويصار وفقاً للظروف إلى استدعاء الجماعة الكنسيّة كلّها، وبالأخصّ المربّين، والعيال وحركات العمل العائلي والجمعيّات الرهبنيّة والمؤسّسات الدينيّة. وعلى الكهنة أن يفسحوا في خدمتهم المجال واسعاً لهذه الرسالة، وعليهم خاصّة أن يذكّروا الوالدين بمسؤوليّاتهم في إيقاظ الإيمان وترتيبه عند أولادهم. فلمثل هؤلاء يعود أن يبدأوا بتأسيس الولد على أصول الدين، وأن يعلّموه أن يحبّ المسيح كما يحبّ صديقاً له حميماً، وأن يهذبوا ضميره. وتكون المهمّة سهلة ومثمرة بقدر ما ترتكز على نعمة العماد الحالّة في قلب الولد.

33-        وللجماعة الرعويّة وبخاصة لجمهور المسيحيّين الذين يؤلّفون بيئة العيلة البشريّة- كما يشير إلى ذلك كتاب الرتب – مكانها الخاص في العمل الرعوي المختصّ بالعماد. لأنّه "من حيث أنّ شعب الله الذي هو الكنيسة، هو الذي ينقل ويحفظ الإيمان الذي تلقّاه من الرسل، فإليه يعود بالدرجة الأولى أن يهتمّ بالتهيئة للعماد وبالتربية المسيحيّة".

مثل هذا التدخّل الناشط من قبل الشعب المسيحيّ والقائم اليوم فعلاً في تهيئة عماد الراشدين يصلح أيضاً في تهيئة عماد الأطفال. "ففيه" أيضاً لشعب الله الذي هو الكنيسة، دور كبير يقوم به. هذا وإن الجماعة المسيحيّة نفسها تجني فائدة روحيّة ورسوليّة كبيرة من حفلة العماد. ثمّ أنّ عملها هذا يستمرّ، ولا بدّ، بعد الحفلة الطقسيّة بمساهمة البالغين في تربية الإيمان عند الشباب سواء ابشهادة حياتهم المسيحيّة أم باشتراكهم في مختلف النشاطات التعليميّة الدينيّة.

**الخلاصة**

34-        إنّ لمجمع تعليم الإيمان، بتوجّهه إلى الأساقفة، ملء الثقة في أنّهم بتأديتهم الرسالة التي استلموها من الربّ، سيعنون عناية خاصة بالتذكير بتعليم الكنيسة في ضرورة عماد الأطفال وسيعملون رعائيّاً بما يوافق، وسيردون إلى النهج التقليدي أولئك الذين، لربّما تحت تأثير اهتمامات رعويّة معروفة، يكونون قد انحرفوا عنها. ويتمنّى أيضاً أن تصل تعاليم وتوجيهات هذا الإرشاد إلى جميع الرعاة والوالدين المسيحيّين وبجماعات الكنيسة، لكي يعوا جميعاً مسؤوليّاتهم ويسهموا، عبر تعميد الأطفال وتربيتهم المسيحيّة، في نموّ الكنيسة جسد المسيح.

إنّ قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني، في مقابلة خصّ بها المدير الموقّع، قد أتيت هذا الإرشاد الذي اعتمد في اجتماع عاديّ لمجمع تعليم الإيمان، وأمر بنشره.

 روما، مركز المجمع في 20 تشرين الأوّل 1980

**الأخ جيروم هامر                                   فرانجو كاردينال سيبر**

   أمين السرّ                                                                   مدير